ما قبل الكتابة

- " قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً" [الكهف - ١٠٤].

- "سيخرج من أصل هذا الدين قوم يقرأون القرآن ولا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية" [حديث شريف].

وفى رواية أخرى: تحقر صلاة أحدكم فى جنب صلاتهم، وصوم أحدكم فى جنب صومهم لكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم (اى حلوقهم).

- إذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك أنت. فإنك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا.

[من وصية الرسول إلى بريده]

– من أفتى الناس بمجرد النقل من الكتب متجاهلاً اختلاف الناس فى أعرافهم وعوائدهم وأزمنتهم وأحوالهم فقد ضل وأضل، وكانت جنايته على الدين.

[الإمام أبن القيم]

-إذا زرت يا مولاى قبر محمد
وقبَّلت مثوى الأعظم العطرات
فقل لرسول الله يا خير مرسل
أبثك ما تدرى من الحسرات
شعوبك فى شرق البلاد وغربها
كأصحاب كهف فى عميق سبات

[أحمد شوقى]

-فشت الجهالة واستفاض المنكر
فالحق يهمس والضلالة تجهر
والصدق يسرى فى الظلام ملثماً
والزور يمشى فى النهار فيسفر
بئس الزمان لقد حسبت هواءه
دنسا وأن بحاره لا تُطهر
وكأن كل الطيبات يردها
فيه الى شر الأمور مدبر

[عباس العقاد]

– إغضب فإن الله لم يخلق شعوباً تستكين
إغضب فإن الأرض تحنى رأسها للغاضبين

اغضب ستلقى الارض بركاناً
ويغدو صوتك الدامى نشيد المتعبين

[فاروق جويده]

- أنى أقول لهذا الظلم فى صلف
إشرب دمائى وإثمل أيها النهم
هيهات تبلغ إذلالى وتخضعنى
إنى قوى عتى ثائر برم

[عبد الرحمن الخميسى]

- فلنخترق قلعة السلطان الظالم برماح من الضوء

[عمر الخيام]

لماذا ؟

كنت طوال عقود أواصل انتقادى للفكر المتأسلم. ولعلى نجحت بقدر ما فى إيضاح خطأه وخطره على جوهر العقيدة وعلى رؤية الآخر للإسلام وعلى المسلمين ذاتهم.

والآن جاءت دولة التأسلم. وهى ليست المرة الأولى. فعبر التاريخ تحققت هذه الدولة لتنهار وفى كل مرة تأتى لتنهار، وفى زماننا الحديث تحققت هذه الدولة بشكل أو بآخر ورأينا نتائجها السلبية فى إيران وأفغانستان والسودان ومالى وغيرها. ومن هنا تصبح الكتابة فى موضوع التأسلم ذات أهمية خاصة وربما ذات مذاق خاص.

لكننى أود فى البداية أن أؤكد اعتقادى بأن التأسلم ليس جرعة ناقصة من الإسلام بل على العكس لعله يتبدى وكأنه جرعة زائدة

منه. ومهما زادت الجرعة الإيمانية فهى أمر محمود يعنى المزيد من الطمأنينة والمزيد من اللجوء الى الصواب والحق والعدل والمزيد من إعمال العقل والعلم، والمزيد من السعى بالناس وبالمجتمع نحو المزيد من التقدم والرخاء والانطلاق.

فالتأسلم فى اعتقادى ينشأ من بذرة خاطئة متعصبة رافضة للآخر، وناقصة فى فهمها لحقيقة الدين ومبتغاه وروح نصوصهواللجوء إلى التفسير النصى، وهو تفسير يأتى فى الأغلب وفق الهوى.

ولقد تتبدى الجرعة الإيمانية الزائدة ظاهرياً قادرة على التأثير، وعلى كسب الأتباع، ولكنها أبداً لا تقاس لا بالألفاظ المغلفة بإيمان لا علاقة له بجوهر الدين ولا مبتغاه الذى هو رحمة للعالمين، ولا تقاس بكثرة الأتباع، فكم تجمعت جموع تتوق إلى وفرة الإيمان فإذا بها تساق تحت وطأة زيف الكلمات وزخرفها الى ضلال وإذ تكتشفه تنفض، ولعل هذا ما حدث ويحدث أمام أعيننا هنا أو هناك فى بلاد أخرى.

ولقد حرص القرآن الكريم على التحذير من الانخداع بالمقولات التى تبدو فى المظهر لامعة بإيمان زائف. ونقرأ "قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً" [الكهف-١٠٤]. وفى الحديث الشريف "سيخرج من أصل هذا الدين قوم يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية" وفى رواية

أخرى قال "تحقر صلاة أحدكم فى جنب صلاتهم، وصوم أحدكم فى جنب صومهم، لكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم (أى حلوقهم)"

وهم هكذا دوماً.. فى الماضى والحاضر. يقول عبد الله بن عباس وقد زار الخوارج فى حروراء لمجادلتهم "فدخلت على قوم لم أر أشد منهم اجتهاداً، جباههم قرحة من السجود وأيديهم كأنها ثفن الأبل [أى أخفاف الأبل من كثرة السجود] وعليهم قمصان مرخصة [طاهرة] مشمرين، مسهمة وجوههم من السهر" [ابن الجوزى - تلبيس إبليس - صـ٩١] ويقول جندب المرادى "لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع على كرم الله وجهه، وإذ وصلنا الى معسكرهم فإذا لهم دوى كدوى النحل من قراءة القرآن" [المرجع السابق - صـ٩٥] وبلغ بهم الأمر أن أحدهم وهو حرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثدية صاح فى وجه على بن أبى طالب "لا نريد بقتلك إلا وجه الله والدار الآخرة".

وعندما حقق الخوارج مبتغاهم وقتل أحدهم وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادى عليا صاح خارجى آخر وهو عمران بن حطان مادحاً القاتل:

لله در المرادى الذى سفكت
كفاه مهجة شر الخلق إنساناً
أمسى عشية غشاه بضربته
مما جناه من الآثام عرياناً
يا ضربة من تقى ما أراد بها

إلا ليبلغ من ذى العرش رضواناً
إنى لأذكره حياً فأحسبه
وفى البرية عند الله ميزاناً

ويقول بكر بن حماد التهرتى وهو شاعر من أنصار علىٍّ، رداً على هذه القصيدة

قل لإبن ملجم والأقدار غالبه
هدمت ويلك للإسلام أركاناً
قتلت أفضل من يمشى على قدم
وأول الناس إسلاماً وإيماناً
وأعلم الناس بالقرآن، ثم بما
سن الرسول لنا شرعاً وتبياناً
صهر النبى ومولاه وناصره
أضحت مناقبه نوراً وبرهاناً

[بكر بن حماد التهرتى - الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد - صـ ٦٢].

نتأمل وبتدقيق هذا الشعر وما سبقه لنعرف الفارق بين الإيمان الحق والتأسلم. ولنعرف كيف أن المتأسلم يرتكب أكبر الكبائر متوهماً أنه يصعد بذلك إلى أعلى قمم الإيمان. وهنا تكمن كارثة التأسلم.

***

والتأسلم يتخذ أشكالاً مختلفة باختلاف الزمان والمكان فتأسلم الخوارج يختلف عن تأسلم قادة ثورة الزنج وهؤلاء يختلفون عن تأسلم

ارهابيى جماعة الإخوان ويختلفون أيضاً عمن أتى بعدهم من متأسلمين. وأياً كان الاختلاف فإن البذرة الأصلية تبقى هى هى، وهى التمسك برؤية متطرفة تقتاد صاحبها فى كل الأوقات والبلدان إلى إنكار الآخر والاستعلاء عليه واعتبار إختلافه معهم اختلافاً مع شرع الله ومن ثم يكون هذا المختلف مرتداً وكافراً كفراً بوحاً. لكننا نلاحظ شيئاً مهماً وهو أن تمادى الزمان يأتى باستمرار بالأكثر تشدداً ونقارن تسلسل الفكر المتأسلم فنرى مثلاً أن المفردات والعبارات والمواقف التى أتى بها سيد قطب كانت أشد تأسلماً من فكر متأسلم أتى به حسن البنا، الذى كان يكتب محاذراً محاولاً أن يفلت بتأسلمه من أية اتهامات قانونية، ثم يتمدد تأسلم صالح سرية ليتجاوز سيد قطب ويأتى بعدهما شكرى مصطفى وكل مرحلة تأتى أكثر تشدداً وتأسلماً وتكون المفردات والمواقف والاتهامات أشد قسوة وعنفاً.

وفى الجزء القادم من هذه الدراسة سنكتشف أن كل موجة ستأتى أكثر تشدداً، وربما كان ذلك بسبب ما يحيق بالموجة التى سبقتها من فشل وسوء تنظيم وخلل فى التدبير فيتصور القادم الجديد أن سابقيه لم يكونوا مسلمين بما يكفى ومؤمنين حقاً فيزداد تشدداً وتأتى الكارثة أشد وبالاً.

وعلى أيه حال.. سنمضى فى الدراسة حتى تصل بنا إلى ما نحن فيه الآن ولعلنا بهذا نكون قد وصلنا الى مفتاح الفهم لحقيقة التأسلم والمتأسلمين.

***

وتبقى بعد ذلك ملاحظة شكلية ففى كل دراسة تاريخية تكون هناك مراجع يتعين إثباتها ليس فقط لاستكمال الشكل الأكاديمى وإنما لأن الباحث سيحتاج للتعرف على المصدر فيواصل بعد ذلك معرفته باتجاهات الكتابة وتقييمه لها ومدى قيمة الفكرة التى ترتبط طبعاً بقيمة المصدر، لكننى وبعد تجارب لا حصر لها وجدت نفسى وأنا أطالع أى كتاب مشغولاً بالانتقال إلى صفحات المراجع بما يقطع السياق علىَّ وبالطبععلى أى قارئ أو باحث وكذلك يكون الأمر حتيمع وضع المراجع فى أسفل الصفحات فيحدث الانقطاع غير المرغوب فيه، ولهذا أتيت إلى فكرة ربما تكون جديدة وهى إضافة المرجع الى موقعه من الكتابة، فيقرأ الباحث أو القارئ الفقرة ويستمر معها ليجد المرجع. وأعتقد أن هذا أيسر على القارئ والباحث، خاصة وأن مجموعة المراجع سوف توجد مفهرسة فى نهاية الكتاب.

***

والآن أستطيع أن أشمر عن ساعدى وأن أستعيد قدراتى وأستجمعها لأبدأ بعد هذا الكتاب الذى اعتبره الجزء الأول من دراسة ممتدة رحلة البحث فى خضم جماعات وقوى التأسلم السياسى التى منحت المصريين أرقاً وأسالت دماء بغير حصر. وأكدت للجميع أن تجربة السادات فى الاستقواء بالمتأسلمين أودت بمصالح كثيرة للوطن وأهدرت دماءً مصرية وأجنبية كثيرة. وأثبتت أن من يربى الثعابين السامة فى بيته حتماً ستلدغه، وقد لدغته.

رفعت السعيد

القاهرة ١-٦-٢٠١٣

إضـــاءة

من هو المسلم الحق ؟ ومن هو المتأسلم ؟ هذا هو السؤال الذى يواجه الجميع.. والإجابة تتطلب التفريق بين الإيمان الحقيقى وبين المتشدد والمتطرف والمتعصب. القرآن واحد لا يتبدل حرف واحد منه والسنة الصحيحة معلومة ومكتوبة ومعتمدة ففيم يكون الاختلاف ؟ أنه يأتى من الرأى. أى من الفهم الشخصى للقرآن وللسنة. وهنا يتحقق الاجتهاد بالرأى وهو اجتهاد إنسانى يحتمل الصواب ويحتمل الخطأ.

ولنستمع إلى ما قاله المسلمون الأولون..

* الإمام الشافعى: رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب.

* الإمام أبو حنيفة: رأينا هذا هو أفضل ما قدرنا عليه. فمن جاءنا بأفضل منه قبلناه.

- الإمام مالك : كل ابن آدم يؤخذ من كلامه ويرد ما عدا صاحب هذا القبر . وأشار إلى قبر الرسول .

- وقول لابن المقفع : "الدين تسليم بالإيمان والرأى تسليم بالخصومة فمن جعل الدين رأياً جعله خصومة ومن جعل الرأى ديناً جعله شريعة" .

.. والأمر واضح تماماً فإن البعض عندما يلتزم برأى فى فهم المعطى المقدس يتمسك بهذا الرأى وكأنه جزء من المقدس ذاته . ومن ثم يتصاعد به ويجعله مقصله للمختلف معه .ويكون الرفض ثم التهجم ثم التكفير ثم ما بعد ذلك . ونرد على هؤلاء بقول على بن ابى طالب "القرآن لا ينطق وهو مكتوب وإنما ينطق به البشر وهو حمَّال أوجه" ، وقبل هذا وذاك كان الحديث الشريف "إن الله يبعث على رأس كل مائة من السنين لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها " [رواه أبو هريرة] . وقال الإمام السيوطى ولا يشترط قدومه كل مائة سنة وإنما كلما وجب التجديد .

ويكون التعصب للرأى الإنسانى مدعاه لكل ما نحن فيه من تعصب طائش وتطاول مجنون على المخالفين، وهو ما تجلى فى الآونة الأخيرة من فتاوى وإدعاءات ومواقف ما كانت يوماً من تراث اسلامى حقيقى .. ويتألق صوت أبو ذر الغفارى الصحابى الجليل "والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها ، والله ما هى من كتاب الله ولا سنة نبيه . والله أنى لأرى حقاً يطفأ وباطلاً يحيا ، وصدقاً مكذباً وأثره بغير تقى" .. أنه ذات ما نعانى منه اليوم بما يؤكد أن الداء قديم

والدواء قديم أيضاً وهو الالتزام بالمعيار الأساسى.. المقدس يبقى مقدساً والرأى يبقى إنسانياً أى يحتمل الصواب والخطأ. وما دون ذلك خطأ فادح وخروج على حكمة المقدس. وفى القرآن الكريم نجد ما يحسم الأمر "قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً" [الكهف]. وبهذا نضعهم فى موضعهم الصحيح. هم مسلمون، يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.. ولكنهم الأخسرين أعمالاً. ولهذا نسميهم بالمتأسلمين وما يقولون به هو التأسلم وليس صحيح الاسلام.

ونعود إلى رأى الباحثين والمؤرخين والمفكرين.

- ابن جرير الطبرى يقول فى - الجامع فى أحكام القرآن "لقد أجرى الله الأحكام بين عباده على الظاهر. وله وحده الحكم على سرائرهم دون أحد من خلقه. فليس لأحد أن يحكم بخلاف ما ظهر له لأنه حكمٌ بالظنون، ولو كان ذلك لأحد لكان أولى به رسول الله وقد حكم للمنافقين بحكم الإسلام بما أظهروا ووكل سرائرهم الى الله [الجزء الأول -صـ ٢٠٠].

- أما الأستاذ أحمد أمين المفكر الاسلامى الأشهر فى الزمان الحديث فيقول "كان الناس فى عهد النبى وبعده يتلون القرآن أو يسمعونه فيعنون بتفهم روحه، فإن عنى علماؤهم بشئ وراء ذلك فبما يوضح الآية من أسباب النزول. وأكثر ما روى الطبرى والصحابة فى تفسير القرآن هو من هذا القبيل" [ضحى الإسلام - صـ ٣٨٥].

- أما الدكتور محمد حسين هيكل فيقول فى ذات الاتجاه "إن البعض قد أضاف إلى دين الله شيئاً كثيراً لا يرضاه الله ورسوله، واعتبرت هذه الإضافات من صلب الدين، ورمى من أنكرها بالزندقة، فقد أضافت أكثر كتب السيرة ما لا يصدقه العقل ولا حاجة إليه فى ثبوت الرسالة، ولأن هذه الأقاويل قد أعتبرها البعض من صلب الدين فقد رمى من أنكرها بالإلحاد" [حياة محمد.. صـ٢٩] ثم يضيف " لقد لاحظ الذين درسوا كتب السيرة أن ما روته من أنباء الخوارق القديمة أقل بعداً عن مقتضى العقل مما ورد فى كتب المتأخرين" [صـ٥١]. فكلما أبتعد الناس عن زمن الرسول كلما زادهم فى الخضوع للخرافة والقائلين بها.

.. ولم يزل القول ممتداً..

وفى كل الديانات السماوية والأرضية يلجأ الشراح الجاهلون الكهان والمضللون الى تغليف الخرافات والادعاءات ومصادر النفوذ بغلاف دينى لتمريرها وغرسها فى عقول أتباع هذه الديانة أو تلك.

فالخرافة هى أيسر سبيل للسيطرة على جماهير لا تقتنع بالواقع ولا ترتضيه وإنما تطمح إلى ما يمكن تسميته ما فوق الواقع، ومن أجل أرضاء هذا الشعور وكسب خضوع هذه الجماهير تأتى الخرافة المغلفة بالإيمان.

ولعل خير تجسيد لهذه المشاعر هو ما أورده الكاتب المبدع يحيى حقى فى رواية قنديل أم هاشم، فزيت القنديل حتى لو كان قادراً من الناحيه العلمية أو الواقعية على شفاء مرض العيون، فإنه لا يجذب

تصديق أحد ولكن هذه الخرافة احتاجت كى تصبح أسطورة يصدقها الجميع ويتزاحمون لإلتماس شفاء عيونهم عبرها إلى أن يعلق يحيى حقى قنديله فى ساحة مسجد السيدة زينب. والكهان فى كل مكان وزمان لا يعرف أغلبهم كلمة "لا أعرف" أو "لا أدرى" ومن ثم يحتاج إلى اختلاق قصص وروايات وتفسيرها بحيث ترضى شهوة الأتباع إلى التعلق بالكرامات والخوارق فتزدحم كتب التراث عند المسلمين بحكايات وأساطير وخرافات لايمكن لعاقل أو نصف عاقل أن يصدقها ومع ذلك تبقى وتترسخ فى عقول وخواطر البسطاء ويعتبرون أنها جزء لا يتجزأ من الدين المقدس وان الإيمان بها هو بوابة الدخول إلى الإيمان الحق.

وإذا كان عمر بن الخطاب قد سئل "فى الآية الكريمة: وفاكهة وأبا" ما هو "الأب" ؟ فأجاب ببساطة "لا أدرى" ثم أردف "نهينا عن التفيقه [أى ادعاء الفقه والفقه هو المعرفه بالشئ] فإن واحداً من مؤلفى كتب التراث فى الفقه الاسلامى سئل من هم "يأجوج ومأجوج "[الذين ورد ذكرهم فى القرآن]؟ ولأنه شيخ ذو كرامات ولا يمكن أن يتواضع تواضع أبن الخطاب أجاب مخترعاً حديثاً شريفاً منسوباً الى حذيفه ومرفوعاً للرسول قال فيه "إن يأجوج ومأجوج أمه، وكل أمه أربعمائة أمه، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح، وهم من ولد آدم يسيرون فى خراب الأرض، وهم ثلاثة أصناف.. صنف مثل شجر الأرز، وصنف طوله وعرضه سواء عشرون ذراعاً ومائة، وهؤلاء لا تقوم لهم الجبال

ولا الحديد، وصنف منهم يفرش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل أو وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم فى خراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبريا ومنهم من تنبت لهم مخالب فى أظافرهم وأضراسهم كأضراس السباع" انتهى النص وما من تعليق. وواحد آخر من أصحاب كتب التفسير سئل عن سفينة نوح فتطوع بإجابة تقول "إن نوحا بنى سفينته من عظام حيوان يبلغ طوله مسافة ما بين السماء والأرض، ويبلغ عرضه مسيرة عام كامل" وقد يتساءل البعض وما حاجة هذا الشيخ أو ذاك الى ترديد هذه الخرافات ؟ وقد تكون الإجابة هى إدعاء الجاهل بمعرفة كل شئ، لكن الإجابة الأكثر رجحانا هى :تكريس مثل هذه الخرافات مغلفة بالدين المقدس فى العقل الجمعى للمسلمين كى تفسح المجال واسعاً للرضوخ أمام جبروت هذه الكرامات ويصبح متأكداً أنه سيكون مسلماً بخضوعه لها. ونقرأ بعضاً من كرامات "الشيخ" "فالشيخ رأى الفاسق فأمر نعليه فطاراً وظلاً يضربان رأسه حتى مات. وإن تابع الشيخ [وليس الشيخ فقط] يمشى على الهواء وتأتى الشمس لتسلم عليه. وأنه أى الشيخ وهو فى المهد رضيع كان يمنع نفسه عن ثدى أمه طوال شهر رمضان من الفجر الى المغرب لأنه صائم. وأن أهل بغداد رأوه رأى العين وهو واقف على مياه نهر دجلة والأسماك تجئ أفواجاً فتسلم عليه وتقبل يديه ورجليه" ثم "إن الشيخ تشفع عند الله فى مريد له ليغفر له ذنباً عظيماً فلم يقبل الله شفاعته فغضب الشيخ وكف يده

عن تصريف أمور الكونية ومراسم الغوثية، وكان أن قبل الله شفاعة الشيخ وغفر عن مريده" [راجع للتفاصيل - الهلال - نوفمبر ١٩٦٧ - مقال محمود الشرقاوى محنة الفكر التقدمى].

ونأتى الى أصحاب الكرامات المصريين فسيدى أبو العلا صاحب المسجد المشهور فى بولاق أبو العلا كان جالساً فى موضع مسجده فجاءته امرأة باكية تشكو أن تمساحاً أبتلع أبنها وهو يعوم فى النيل فغضب الشيخ أبو العلا ونادى يا تمساح هات الولد ولم يستجب التمساح فأمر أبو العلا مياه النهر فإنزاحت وأوشك النهر على الجفاف فأتت التماسيح والأسماك باكية وقدمت الولد سليماً لمولانا.

ويكتب الأستاذ محمود الشرقاوى فى عام ١٩٦٧ "إن هؤلاء الذين يقرأون هذا اللون من "الثقافة" ويصدقوا هذا الصنف من الخرافات والكرامات يقوم فى عقولهم سد عال منيع يحول بينهم وبين التفكير العاقل الذى يحول بينهم وبين إعمال الفكر والعقل وينساقون خلف الخرافات والكرامات وينصاعون لأصحابها" ثم يقول وكأنه يتنبأ بما سيكون "وسوف يأتى من هؤلاء القوم جيش الظلام الذى يطمس ضوء التفكير العقلى"

وهكذا يختفى من فكر المؤمن وقلبه ضوء الايمان العاقل.. الملتزم حتى بالقول الشعبى "ربنا عرفوه بالعقل" وينقاد مطيعاً خاضعاً مستسلماً لكل ما يقوله له"سيدنا" شيخاً كان أو أميراً للجماعة أو مرشداً للإخوان.

وتمضى بنا الكتابة نحو التمييز الواجب والحتمى بين الإسلام والتأسلم.

ولقد أتى الإسلام على يدى الرسول مؤكداً حق الاختلاف فى الرأى واحترام هذا الحق ويروى ابن الجوزى فى كتابه تلبيس أبليس "أعترض ذو الخويصرة التميمى على قيام الرسول بتوزيع غنائم غزوة خيبر، وقيل الغنائم التى أرسلها الإمام على من اليمن حيث نشر الإسلام هناك فأقدم الرسول على توزيع هذه الغنائم على أفراد معدودين من صناديد العرب وسادتهم والحديثى العهد بالإسلام وذلك لحكمة رآها رسول الله فقام إلى الرسول رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتئ الجبهة، كث اللحية، مشمر الأزرار محلوق الرأس [إنه النموذج الذى نراه فى أيامنا] هو ذو الخويصرة التميمى وقال "اتقى الله يا رسول الله" فقال الرسول "ويحك ليس أحق من ان يتقى الله انا" وهنا قام عمر بن الخطاب غاضباً وقال للرسول "هل أدق عنقه يا رسول الله" فنهاه الرسول قائلاً "كلا، لئلا يقول الناس إن محمداً يقتل أصحابه" وهكذا وضع الرسول حدوداً صارمة للتعامل مع الاختلاف فى الرأى، ويمضى بنا إبن الجوزى فيقول إن الرسول أردف قائلاً "سيخرج من أصل هذا الدين قوم يقرأون القرآن ولا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية". وفى رواية أخرى "تحقر صلاة أحدكم فى جنب صلاتهم وصوم أحدكم فى جنب صوم أحدهم ولكن لا يجاوز أيمانهم تراقيهم [أى حلوقهم] [صـ ٩٠]. وعندما نشب الخلاف على الخلافة بين على

ومعاوية وكان قيام الخوارج كانت حكاية يرويها أبن الأثير فى [الكامل فى التاريخ] فيقول "عندما أوشك جيش معاوية على الانكسار أشار عليه عمرو بن العاص بأن يرفع المصاحف على أسنة الرماح وأن يأمر الجند بأن يصيحوا هذا كتاب الله بيننا وبينكم فإن قبلوا ذلك أرتفع عنا القتال وإن أبى بعضهم وجدنا فى تفرقهم راحة. ويرفض على بن أبى طالب إذ يكتشف الخدعة واضحة وصاح فى جنوده "يا عباد الله إمضوا إلى حقكم وقتال عدوكم فإنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن. فأنا أعرف بهم منكم، لقد صحبتهم أطفالاً ورجالاً فكانوا شر أطفال وشر رجال، والله ما رفعوها إلا مكيدة وخدعة" فقال بعض أصحابه: لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فلا نقبل الدعوة". بل أن سعداً بن فدك التميمى وزيداً بن حصين التميمى ومعهم مجموعة أخرى قالوا لعلى "إن الحكم لله. أجب إلى كتاب الله وإلا دفعنا برمتك إليهم وفعلنا بك ما فعلنا بعثمان. وأصروا فوق ذلك على اختيار أبى موسى الأشعرى للتحكيم. ولكنهم هم أنفسهم ما لبثوا أن خرجوا ضد "على" زاعمين أنه أخطأ بقبول التحكيم قائلين كنا بالأمس نقاتل عمراً بن العاص فإن كان حكماً عدلاً فلماذا قاتلناه ؟ وإن لم يكن عدلاً فلماذا يسوغ تحكيمه ؟ وأنتم يا رجال على قبلتم تحكيم الرجال فى أمر معاوية وأصحابه، والله تعالى قد أمضى حكمه فيهم: إن يقتلوا أو يرجعوا. وتعزيزاً لرأيهم استخدموا ذات الآية الكريمة "إن الحكم إلا لله" [الجزء الثالث - صـ١٧١]. فهل نتذكر متأسلمى زماننا الذين وقفوا ضد قرض

أجنبي لأنه رباً ثم ما أن وصلوا إلى الحكم حتى اقترضوا واقترضوا عديداً من المرات.. ونعود الى على بن أبى طالب وهو يتحدث مع "حرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثدية فيقول حرقوصمتوعداً"يا إبن أبى طالب أننا لا نريد بقتلك إلا وجه الله والدار الآخرة" وأكتفى على بقوله "بل منكم من قال الله تعالى فيه "قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً" وصمم على نهجه فى احترام الرأى الآخر وأمر أتباعه بالصلاة على قتلاهم.

ونمضى سريعاً لنلتقى بواحد من أكثر مفكرى زماننا فهماً لحقيقة الفارق بين الإسلام والتأسلم. والفارق بين الدين والرأى فى الدينلنطالع ما كتبه د. محمود حمدى زقزوق "ومن الأفكار المغلوطة لدى الكثيرين الخلط بين الشريعة والفقه الاسلامى، وقد أستقر هذا الفهم فى أذهان الكثيرين منذ قرون نتيجة لعصور التخلف التى طرأت على المسلمين بعد تراجع الحضارة الإسلامية. والفرق بين الشريعة والفقه مثل الفرق بين السماء والأرض، وبين ما هو إلهى وما هو بشرى، وقد أدى هذا الخلط إلى إضفاء طابع القداسة على أراء الفقهاء خروجاً على الدين نفسه وتمسك هؤلاء بإغلاق باب الاجتهاد ومنع رحمة الله الواسعة فى التيسير على العباد" [مقاصد الشريعة الإسلامية وضرورات التجديد صـ٣٣].

وهو ذات ما أكده الأستاذ الإمام محمد عبده إذ نعى على بعض الفقهاء "انهم جعلوا كتبهم على علاتها أساس الدين ولم يخجلوا

من قولهم بوجوب العمل بما فيها، فإنصرفت الأذهان عن القرآن والحديث وانحصرت فى كتب الفقهاء على ما فيها من الاختلال والركاكة" [الإعمال الكاملة - الجزء الثالث - صـ١٩٥].

ولكن المثير للدهشة هو أن كثيراً من هؤلاء المتأسلمين يستخدمون النص ويتمسكون به ويزعمون انه صحيح الإسلام ثم يعودون الى استخدام ذات النص على الوجه المعاكس مصممين على أن العكس هو صحيح الإسلام.

كان ذلك مثلاً فى مراجعات الجماعات فقد كان القتل والتكفير تفسيراً لنص، ثم وبذات النص أدانوا ما فعلوا. وكذلك فى تصرفات اعضاء جماعة الاخوان فى مجلس الشعب إزاء الاقتراض ورفضه على أساس انه رباً وحرام ثم عادوا واستخدموا ذات النص لتبريره عندما أتوا للحكم. وكذلك عندما أيدوا كامب ديفيد ثم عادوا للالتزام بها. وهكذا

والى مزيد.